جزر الهند الشرقية

للأستاذ سوكارنو الصغير

نحاول فى هذه الأسطر أن نصور الحياة الحديثة فى جزر الهند الشرقية ليطلع القارىء على حياة أمة شرقية يبلغ عددها سبعين مليونا ، تجمع شملهم وحدة الآمال والمقاصد نحو حياة حرة ! ...

يطلق التاريخ الحديث على مجموع الجزر المنتشرة بين آسيا واستراليا ـ اندونيسيا ـ وهى كلمتان ركبتا تركيباً مزجياً . الكلمة الأولى (Indos) وهى بمعنى الهند ، والكلمة الثانية (Nesos) بمعنى الجزائر . وفى الاصطلاح السياسى ، تطلق على المستعمرات الهولندية سابقاً . وأشهر الجزائر الأندونيسية : جاوا وسومطرة ، وبورنيو ، وسيليبيس ، وبالى ، وسمباوا ، وغينيا الجديدة ، وجزائر الملوك . وهناك جزر تعد بعشرات المئات ، ويبلغ سكان أندونيسيا سبعين مليونا .

سكن الشعب الأندونيسى هذه الجزر قبل ميلاد المسيح بخمسة آلاف سنة . شيدوا فيها حكومات ذات حضارة ومدنية ؛ وكانت ديانته البوذية التى جاءته من جنوب الهند . ويرجح المؤرخون أن سكان اندونيسيا أتوا من الهند ، إذ أن الجزر الجزر الأندونيسية الدانية من البر الأسيوى كانت متصلة به . وبقوة الأمواج المتلاطمة على السواحل الأسيوية انفصلت قطع منها وتكونت عدة جزر . واللغة الجامعة للتفاهم هى اللغة السنسكريتية . وتوجد للآن فى جزيرة جاوا آثار قديمة من العهد الهندوكى ، أشهرها (بوروبودور) وهياكل المعابد البوذية ، وتماثيل بوذا . وقد نقبت البعثات الغربية فى جزيرة جاوا فوجدت فيها آثار أقدم انسان نشرتها الصحف بوقتها . ومن أعظم الحكومات التى أسسها الشعب الأندونيسى ، امبراطورية سريويجايا وتعدان بالنسبة للظرف الحاضر من كبريات الدول ذوات الاستعمار ! ولما بدأ الانحلال الشرق وأفل نجمه الساطع بعد قرون زاهرة بالعلوم والآداب والحضارة والمدنية أصيبت أندونيسيا بالانحلال والضعف أيضاً . وبدأ دور الغرب فى احياء العلوم وانشاء حضارة مؤسسة على المادة ! فرحل اليها الأوربيون للتجارة عن طريق رأس الرجاء .

وينقسم التاريخ الأوروبى فى أندونيسيا الى قسمين :

ا ـ العصر البرتغالى والأسبانى من ١٥٠٠ — ١٦٠٠ م .

ب — العصر الهولندى ـ من عهد الشركة الشرقية الهندية (V. O. C.) ١٦٠٠ — ١٨٠٠ ثم عصر الاستعمار من ١٨٠٠ — ١٩٤١ م .

ثم توحدت الشركات الهولندية فى شركة واحدة بأمر من السلطات العليا فى هولندا لأسباب أهمها : ـ

١ ـ افساح المجال للشركة فى انماء تجارتها والقضاء على التنافس الفردى .

٢ — التضييق على الشركات البرتغالية والانكليزية .

٣ — مقدمة لاستعمار اندونيسيا .

٤ — القضاء على الشركات الوطنية .

وتكونت الشركة كما ذكرنا باسم (شركة الهند الشرقية) وهى اللعامة الأولى فى هيكل الاستعمار الهولندى ، والعامل الأساسى فى اتساع نفوذه فى الشرق الأقصى ! ...

وفى القرن التاسع عشر فرضت السلطة الهولندية نفوذها السياسى باستعمار البلاد سياسياً ، وأصبحت مستعمرة هولندية . وسارت اندونيسيا فى طريق محدودة رسمتها السياسة الهولندية وسنت نظما وقوانين تحد من سلطة الشعب ، وتضيق ميدان حياته فأمسى الشعب عاجزا عن الدفاع عن سلامة وطنه . ورغم التضييق الشديد حدثت عدة ثورات لتحرير البلاد من النفوذ الهولندى ؛ ففى عام ١٨٢١ قام الزعيم المسلم أمام بونجول فى جزيرة سومطرة بثورة رهيبة لازالة الحكم الأجنبى عن اندونيسيا . وذهب ضحيتها عشرات الألوف من الأندونيسيين ، كما خسرت السلطة الحاكمة ما يضاهى خسارة الوطنيين . ودامت الثورة حتى عام ١٨٣٧ لوقوع مشعل نار الثورة فى يد الحكومة ، ثم نقته الى جزيرة تيمور وتوفى بها . أما نتائج الثورة فهى اشعار الهيئة الحاكمة أن الشعب الأندونيسى المغلول الأيدى ، يستطيع أن يتحرك ليجاهد دفاعاً عن كرامته وشرفه ووطنه .

وفى عام ١٨٢٥ اشتعلت نار ثورة أخرى بقيادة زعيم آخر ، هو الأمير ديفانيغورو ، وكان الشعب الأوندونيسى يعتقد أنه منقذ أندونيسيا من السيطرة الأجنبية ، وقد عصفت هذه الثورة بهيكل النفوذ الهولندى وكادت تقلعه من جذوره لولا سرعة تموين الحكومة الهولندية لجيوشها المنتشرة بالذخائر ، واستولى الثوار على بعض مقاطعـــات ، وأدارتها الادارة الوطنية للثوار . وفى نهاية عام ١٨٣٠ قذفت السلطة الهولندية بجيوشها الى ميادين القتال وزودتها بذخائرها الكافية ، فدارت معارك حامية كان الثوار يحاربون بالسلاح الأبيض أو بما غنموه ... ونجحت الحكومة فى اخماد الثورة وبلغت خسائرها خمسة عشر ألف جندى وعشرين مليون ربية . وأما ضحايا الثوار فبلغت ضعفى خسائر الحكومة .

وفى عام ١٨٧٣ حدثت ثورة رهيبة فى جزيرة سومطرة بمقاطعة آجيه . وهذه المقاطعة معقل الاسلام فى أندونيسيا ، وسكانها قوم عاشوا على الحروب والقتال كالأمة العربية . ولما حدثت الثورة امتشق الحسام كل فرد منهم ذوداً عن كرامة الدين الإسلامى وحفظاً لشرف البلاد . والزعيم الذى قاد هذه الثورة هو (تونكو عمر) . ولم تستطع السلطة الهولندية منذ استعمرت أندونيسيا أن تخضع هذه المقاطعة لشدة شوكتها ؛ وكان يحكمها أمير وطنى له السيادة التامة عليها . وفى عام ١٩٠٤ استطاع الهولنديون التغلب عليها بالقضاء على الثورة وإخمادها بعد أن ضحوا تضحيات هائلة . كما ضحى الوطنيون أضعاف ما ضحاه الهولنديون . ثم أديرت المقاطعة من قبل أمرائها تحت مراقبة السلطة الهولندية فى الأمور التى لها مساس بمصالحها .

الحركة الحديثة

فى ٢٠ مايو ١٩٠٨ تأسس أول حزب سياسى هود بودى أوتومو (Boedi oetomo) أى النزعة الفاضلة برئاسة الدكتور وحيدين . ويعاونه فى إدارته ونشر مبادئه وتحقيق غايته طلبة الطب بمدينة باتافيا . وانضمت إلى عضوية الحزب الطبقة المثقفة والأسر الراقية . وقام بالدعاية له فى غرب جزيرة جاوا الدكتور رادين ستومو ، وفى شرقها الحاج شكرو أمينوتو وكلاهما من رجالات أندونيسيا البارزين .

ولتحقيق غاية الحزب أنشأ هيئات أولية للاشراف على تنفيذ برامجه الإصلاحية وأهم برامجه :

١ — إصلاح حالة الأمة الثقافية ؛ فنشر المدارس والمكاتب وبعث لجانا صغيرة تجوب المدن والقرى لمساعدة المعلمين الصغار ، وإرشادهم إلى الطرق التى يلزم أن يسلكوها فى أداء رسالتهم الثقافية .

٢ — إصلاح الحالة الاقتصادية ، فأنشأ بنوكا ومحلات تجارية لمساعدة التجار والزراع الوطنيين وإرشادهم إلى أقوم السبل إلى استثمار أموالهم وزراعة أراضيهم .

٣ — إصلاح الحالة السياسية ، فأنشأ النوادى والصحف . وأقام المحاضرات فى المحلات العامة لارشاد الشعب إلى سير الحالة الخارجية وتطور السياسة العالمية وعلاقة البلاد بالحكومة الهولندية

ولما كانت الأداة الحكومية فى يد الموظفين الهولنديين سعى الحزب إلى اشتراك الأمة فى إدارة شئونها ، فتعين كثير من الرجال المثقفين والشبان فى عضوية المجالس البلدية والمحلية وفى المحاكم وفى إدارة الشئون المالية والثقافية والصحية والمواصلات والتعدين . وطالب الحزب بانشاء مجلس نيابى ، ولكن السلطة الهولندية رفضت طلبه بدعوى أن الجو مكفهر فى ابتداء الحرب العالمية الأولى ، ومضطرب لاشتداد الأزمة السياسية العالمية . وبعد مضى الحزب فى عمله أصبح الشعب كالبركان الثائر يطالب بحرياته التامة !

تمت الروح القومية وانتشرت انتشارا رائعاً ، وكان أقوى عامل لنموها هو شعور الأندونيسى بالحب العميق لأندونيسيا الحديثة ؛ أندونيسيا الكلمة الساحرة التى جذبت سبعين مليونا من النفوس نحو حبها ! فسعوا بجد نحو إعادة ماضيها على أساس الحياة الحديثة . وتفرق الشعب فى طرق متعددة للوصول إلى الهدف القومى . وهناك فى ميادين الثقافة والاقتصاد والتجارة والملاحة والزراعة فرق ترشد الجماهير إلى أحسن الطرق لاصلاح حالتها العامة ، وقد أنشأت الحكومة الهولندية مدارس عالية ومتوسطة وابتدائية ، ولكنها لا تكفى لارواء ظمأ شعب يلح فى طلب الحرية المؤسسة على العلم والعرفان . وفى أندونيسيا

كليات أسستها الحكومة الهولندية، وهى كلية الطب ، وكلية الحقوق ، وكلية الهندسة ، وكلية التجارة ، وأكاديمية حربية ، وإزاءها مدارس عالية أهلية أسستها الجمعيات والأحزاب . وأشهر المؤسسات القومية التى قامت بالاصلاح الدينى والاجتماعى والثقافى مؤسسة المحمدية والعائشية وأساسها دينى قومى ، ثم مؤسسة (تامن سيسوا) (Taman Siswa) وأساسها قومى ، ومؤسسها البروفيسور كى هاجر ديوانتارا ، ونال لقب الأستاذية من أكبر معهد للتربية فى الولايات المتحدة فى عام ١٩٣٨ ويبلغ عدد المدارس التابعة للمحمدية والعائشية ثلاثة آلاف مدرسة ما بين عالية وثانوية وابتدائية ورياض للاطفال . ولها أيضاً مكاتب عامة ومساجد ومستشفيات وفرق كشافة تدعى باسم (حزب الوطن) ثم أبدل فى السنوات الأخيرة باسم (شباب المحمدية) . وللجمعية المحمدية والعائشية فروع كثيرة منتشرة فى كل مدينة وقرية فى أندونيسيا . وفى عام ١٩٣٨ طلبت المحمدية من السلطات الهولندية السماح لها بشراء باخرتين لنقل الحجاج الأندونسيين إلى الحجاز ، ولكن السلطات المحلية رفضت طلبها ! وتأسست هذه الجمعية فى عام ١٦١٢ بمجهود الحاج أحمد دحلان . وللجمعية أيضاً جريدة ومجلة لسان حالها . وهما (عادل) و (صوت المحمدية) وتعقد الجمعية مؤتمراً سنوياً فى كل مدينة فى أندونيسيا ، يحضره مندوبون من جميع فروعها . ويستمر فى الانعقاد أسبوعا كاملا تستعرض الجمعية خلاله أعمالها الماضية ثم درس الاقتراحات والقوانين المقدمة من فروعها . وعقد المؤتمرات السنوية سنة اتبعتها الأحزاب السياسية والجمعيات المختلفة المقاصد . وأما مدارس تامن سيسوا فيبلغ عددها الألف . وكانت أكبر خطر على السياسة الاستعمارية كما صرح بذلك البروفيسور جب الهولندى فى كتابه (وجهة الاسلام) إذ أن هذه المدارس مؤسسة على القومية . والتعليم فيها على أحدث المناهج الغربية . وتبعث تامن سيسوا بعض متخرجيها الى الولايات المتحدة وفرنسا وهولندا والفلبين والهند لإتمام دراستهم العالية فى جامعتها . وتصدر مجلة شهرية تعبر عن آرائها باسم (العائلة)

وأشهر الأحزاب السياسية التى ظهرت بعد حزب (بودى أوتومو) حزب الشركة الاسلامية فى عام ١٦١٢ بزعامة الحاج سكرو أمينوتو . وانتشرت فروعه فى المدن والقرى . وفى أثناء سير الحزب رفضت السلطة المحلية الاعتراف بفروعه ، لتستطيع إيجاد الخلاف بين الحزب وفروعه . ومنعت السلطة أيضاً قبوله أعضاء جددا ، وتجاه هذه السياسية المحلية أضافت إدارة الحزب كلمة واحدة الى اسم الحزب وهى (سنترال) وأصبح الحزب يدعى باسم (سنترال الشركة الاسلامية) وبذلك اعترفت السلطة بفروع الحزب

وأما برامج الحزب فهى :

١ — الدفاع عن كرامة الدين الاسلامى واشتراك الشعب الأندونيسى فى تخفيف الالام والمحن النازلة بالأمم الاسلامية .

٢ — نشر الثقافة الاسلامية والعمل بأحكام القرآن مع الاقتباس من القانون الدولى لمسايرة التطور العالمى .

٣ — إيجاد حياة اقتصادية ليستطيع الشعب أن يعيش بها فى مركز متوسط يستغل موارد البلاد .

٤ — تربية الشعب تربية سياسية حتى يستطيع أن يدير أموره بنفسه . وكون هيئات تشريعية وتنفيذية وقضائية من أعضاء الحزب البارزين . ويعتبر هذا الحزب أكبر حزب سياسى إسلامى فى جزر الهند الشرقية ، وبلغ عدد أعضائه بعد الحرب العالمية الأولى مليونى عضو .

ولما سمحت السلطة الهولندية بعقد الاجتماعات والاشتغال بالسياسة تحت شروطها المعينة ، ظهرت على المسرح السياسى الهولندى الاندونيسى أحزاب كثيرة كلها ترمى إلى تحرير البلاد . وفيما يلى نضع للقارىء أهم الأحزاب التى ظهرت وتواريخ ظهورها بصورة مختصرة :

١ — الحزب الوطنى الديموقراطى برئاسة الدكتور دويزديكر فى عام ١٩١٢ .

٢ — حزب فاسوندان فى عام ١٩١٤ .

٣ — الحزب الشيوعى الأندونيسى بزعامة الدكتور سمون فى عام ١٦٢٠ .

٤ — هيئة ائتلاف الأحزاب السياسية الوطنية برئاسة المستر تمرين فى عام ١٩٢٧ .

٥ — الحزب الوطنى الأندونيسى برئاسة المهندس سوكارنو فى عام ١٩٢٧ .

٦ — حزب الشعب الأندونيسى بزعامة المستر محمد طبرانى فى عام ١٩٣٠ .

٧ — اتحاد الشعب الأندونيسى بزعامة الدكتور رادين ستومو فى عام ١٩٣٠ .

٨ — الحزب الأندونيسى برئاسة المستر مرتونو فى عام ١٩٣١

٩ — حزب التربية الأندونيسية بزعامة الدكتور محمد حتى فى عام ١٩٣١ .

١٠ — حزب أندونيسيا الكبرى بزعامة الدكتور رادين ستومو ، وهو مكون من حزب بودى أوتومو وحزب اتحاد الشعب الأندونيسى فى عام ١٩٣٥ .

١١ — حزب النهضة الأندونيسية برئاسة المستر أمير شرف الدين فى عام ١٩٣٦ .

١٢ — الحزب الإسلامى الأندونيسى برئاسة المستر ويووهو النائب بمجلس النواب فى عام ١٩٣٦ .

١٣ — رابطة الأحزاب السياسية الأندونيسية (GAPI) فى عام ١٩٣٩ .

والأحزاب التى استطاعت أن تصمد أمام التيار ، وتقف كالصخرة الصماء لا تزحزحها العواصف ولا الرياح هى :

١ — حزب الشركة الإسلامية الأندونيسية .

٢ — حزب أندونيسيا الكبرى .

٣ — حزب النهضة الأندونيسية .

٤ — الحزب الإسلامى الأندونيسى .

٥ — رابطة الأحزاب السياسية الأندونيسية .

الحكومة النائبة والبرلمان

منذ ابتدأت النهضة الأندونيسية بنمو الروح القومية فى عام ١٩٠٨ طالبت الأحزاب السياسية الحكومة الهولندية بإنشاء حكومة ذاتية ومجلس نيابى . وكانت أهداف الحركات القومية الوصول إلى تحرير البلاد مبدئياً عن سبيل إنشاء حكومة ذاتية بمجلس نيابى ، فى أوائل الحرب العالمية الاولى طالبت الأحزاب السلطة المحلية بإنشاء مجلس نيابى أندونيسى ، ثم أجل الطلب إلى ما بعد الحرب . ولما وضعت الحرب أوزارها أنشأت الحكومة الهولندية مجلساً نيابياً مختلطاً من الوطنيين والهولنديين والأجانب واستاء الشعب من هذه السياسة . وأعلنت الأحزاب الوطنية السياسية اللاتعاونية ، وكان تأسيس المجلس النيابى المختلط (Volksraad) فى عام ١٩١٨ .

وفى عام ١٩٣٧ قدم النائب المستر سوتارجو العضو بالمجلس النيابى مذكرة إليه باعطاء أندونيسيا استقلالا كاستقلال الحكومات الدومنيونية فى الإمبراطورية البريطانية ، وقام بصدده مباحثات طويلة بين رجال الأمة والحكومة الهولندية ، وأخيراً رفض الطلب بدعوى أن الشعب لم ينضج سياسياً !

وفى شهر مايو ١٩٣٩ تكونت رابطة الأحزاب السياسية ، وكان أول ما قامت به هو الدعاية بين طبقات الأمة وفى دوائر السلطات الهولندية بانشاء برلمان وطنى بمعناه الصحيح ، كما قامت واللجنة الأندونيسية الوطنية ، بالمجلس النيابى الدعاية للبرلمان بين أعضاء المجلس ... وفى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٣٩ أذاعت (رابطة الأحزاب السياسية) بياناً إلى الأمة تدعوها إلى بذل جهودها وإعطاء ثقتها للرابطة لإنشاء برلمان وطنى ، وفيما يلى خلاصة البيان :

« منذ تطورت الأزمة العالمية ، والرابطة الوطنية تخطو خطوات موفقة نحو رفع مستوى البلاد السياسى وإشعار العالم الخارجى أن الشعب الأندونيسى يرنو إلى حياة حرة تحت ظل حكومة وطنية متمتعة باستقلالها التام . وإن الرابطة تسعى سعياً قوياً لتحقيق مطالب الشعب الرئيسية . وهى تنظر إلى الحركات الأوروبية بعين اليقظة والحذر . وإن الظرف الحاضر الدقيق حيث يضطرب حبل السياسة العالمية يدعو الرابطة أن تضحى بمجهودات عظيمة فى سبيل تحقيق البرلمان وانشاء حكومة وطنية مسئولة أمامه

إن الرابطة تدعو كافة الجمعيات والأحزاب والمؤسسات القومية وطبقات الشعب إلى تعضيدها فى مطالبها فى إنشاء برلمان للشعب الأندونيسى المجيد ، للوطن الأندونيسى الواحد ! »

وفى ٢٣ ديسمبر ١٩٣٩ أقامت الرابطة مؤتمراً شعبياً باسم المؤتمر القومى الأندونيسى بمدينة بتافيا عاصمة أندونيسيا ، للبحث عن الأسس الأولية لانشاء البرلمان ورفع مذكرة إلى الحكومة الهولندية بتأسيس البرلمان حسب رغبات الشعب . وقد حضر